



الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم واستن بسنّته واهتدى بهديهم إلى يوم الدين.. أما بعد.

فإن محبة المسلمين كل المسلمين وعدم تفرقهم واجتماع أمرهم مطلب شرعي وركيزة كبرى في ديننا الإسلامي.. يقول تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّقُوا وَإِذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران:103].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ يَرْضِي لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيُرْضِي لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوهُ بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّقُوا، وَيُكْرَهُ لَكُمْ قَبْلُ وَقَالُ وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةُ الْمَالِ"، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تَباغضُوا وَلَا تَحَاسِدُوا وَلَا تَدَابِرُوا، وَكُونُوا - عِبَادُ اللَّهِ - إِخْوَانًا، وَلَا يَحْلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ" (رواه الإمام أحمد وأصله في مسلم).

وفي البخاري عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ".

إنه لمن المؤسف أن يحضر أحدهنا مجلساً لطلاب العلم، أو يقرأ في كتاب من كتب الردود، أو يتصفح الشبكة العنكبوتية، وكثيراً ما نسمع ونقرأ هذه العبارات (هذا زنديق)، (قاتله الله أئني بيقفك)، (جامِل متعالِم)، (يحب الظهور)، (أضل من الدجال)، (يريد هدم الإسلام)، (الحمد لله الذي أراح الأمة منه)، تقال عند موته... إلخ.. والقائمة تطول بمثل هذه الألفاظ وما يشبهها، وعندما تعرف الرامي والمرمي بها والسبب الداعي لذلك يتملك العجب.. فالرامي طالب علم، والمرمي بها كذلك، والسبب خلاف علمي أو فقهي يسوغ فيه الاجتهاد.

لقد أحدثت هذه الألفاظ التي يتناقلها طلبة العلم عبر وسائل الإعلام المختلفة شرخاً في جسد الأمة جعلتها شيئاً وأحزانياً، بل قد تطور الأمر عند بعضهم وانتقلوا من القول إلى الفعل فإذا تلاقوا لا يسلم أحدهم على الآخر، وإذا مرض لا يعُدُه، وإذا مات فرح بموته.. فيهدم الحقوق التي ينبغي أداؤها لمن هو في دائرة الإسلام، بل تطور إلى أكثر من ذلك فاستحلوا دماء بعضهم، ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك قضية إخواننا في الصومال، فقد كان الحاكم ومن معه ممن يسمون بالإسلاميين، ومعارضوه كذلك يطلق عليهم نفس الوصف المذكور، وتتطور الخلاف بينهم حتى تقاطعوا وتهاجروا ثم تقاتلوا.

روى أبو داود عن أبي الدرداء، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلة والصدقة"، قالوا: بل، قال: "صلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالة" وفي رواية خرجها الإمام أحمد وغيره "دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء، والبغضاء هي: الحالة، حالة الدين لا حالة الشعر، والذي نفس محمد بيده، لا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلأ أبئكم بشيء إذا فعلتموه تحابيتم، أفسحوا السلام بينكم".

إن ترك المجال لطلبة العلم في التنازب بمثل هذه الألقاب والاستمرار عليها وتكرارها ليل نهار خاصة من خلال وسائل الإعلام وموقع التواصل الاجتماعي دون الأخذ على أيديهم من قبل العلماء وال媢جهين والمربين من شأنه أن يحدث نوعاً من التراكم النفسي - لديهم تجاه الدعاة والمصلحين، ويصبح لكثرة ما يسمع عن هذا الداعية أو ذاك إذا رآه كأنه شيطان يمشي على الأرض..

ولعلني لا أكتمكم سراً أن هذا المقال كتبته بعد أن حصلت لي قصة طريفة ومؤلمة في نفس الوقت، حيث دعاني أحد أصدقائي لمنزله لمشاركته في وجبة العشاء مع ضيوفه من طلبة العلم القائمين من فرنسا، فلبيت الدعوة وحضرت إليه وقابلت ضيوفه وتحدثنا عن فرنسا والنشاط الإسلامي هناك، وكان من ضمن الضيوف طالب علم من فرنسا فلفت نظري أن صفتة الخلقية تشبه صفة أحد الدعاة المشهورين فقالت له ممازحاً، سبحان الله أن تشبه الداعية الفلاني.. فنظر إليّ وكأنني صفتة على وجهه.. وقال على الفور: (أعوذ بالله).. فابتسمت له وقلت له: لماذا يا هذا؟ هل تعرف الرجل؟ قال: نعم، إنه ضال مُضل ولا يشرفني أن يكون شبيهي مثله، فقالت: هل رأيت الرجل وسبق أن التقى به وسمعت منه؟ قال: لا!!

إنه بمقدار ما في هذه القصة من طرافة إلا أنها تبين مدى الهوة السحيقة التي وصل لها طلبة العلم في خلافاتهم، وغالب هذه الخلافات خلافات شخصية ألبست لبوساً دينياً، أو كلاماً ملفقاً، أو كلاماً فهم على غير مراد قائله، أو تم اجتزاؤه من سياقه وسباقه، أو يسبب تأثر التابع بالمتبوع ونحو ذلك.

إن الشرع المطهر يهتم باجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقهم حتى لو أدى ذلك إلى قتل زعيم من زعمائهم فضلاً عن آحادهم، ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا بويع لخلفيتين، فاقتلو الآخر منهما" وفي رواية عند مسلم أيضاً "من أثاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكما، أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه".

إن هذه الأحاديث وإن كانت واردة في مجال الخلافة إلا أن دلالتها على اهتمام الشارع بالاجتماع وعدم الفرقة غير خافية. لقد أمر الشارع بقتل من يريد تفريق المسلمين - مع أن إراقة دم المسلم ليست بالأمر الهين.. فقد ورد في الحديث الذي أخرجه الترمذى وغيره عن عبد الله بن عمرو، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم" - وذلك لأن مصلحة الاجتماع وعدم الفرقة أولى وأوجب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وَهَذَا الْأَصْلُ الْعَظِيمُ وَهُوَ الْاعْتِصَامُ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً، وَأَنْ لَا يُتَفَرَّقَ، هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَصْوَلِ الْإِسْلَامِ، وَمَا عَظَمْتُ وَصِيَّةَ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَمَا عَظَمْتُ ذَمَّهُ لِمَنْ تَرَكَهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ، وَمَا عَظَمْتُ بِهِ وَصِيَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ قَوْلِهِ: "عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، إِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ" .. وَبَابُ الْفَسَادِ الَّذِي وَقَعَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بِلَ وَفِي غَيْرِهَا هُوَ التَّفْرِقُ وَالْاخْتِلَافُ، فَإِنَّهُ وَقَعَ بَيْنَ أُمَّائِهَا وَعِلْمَائِهَا مِنْ مُلُوكِهَا وَمُشَايِخِهَا وَغَيْرِهِمْ مِنْ ذَلِكَ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ).

نَسَأَ اللَّهُ بِمِنْهُ وَكَرْمِهِ أَنْ يَصْلِحَ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَيَجْمِعَ شَمْلَهُمْ وَيَؤْلِفَ فِيهِمْ بَيْنَهُمْ وَيَهْدِيهِمْ صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمِ

ويعينهم من مضلات الفتنة ما ظهر منها وما بطن. إنه خير مسؤول. والحمد لله رب العالمين.

المسلم

المصادر: